فوقهم كأنه ظُلّة دون عَمَد يرونها إلّا إرادة الله، فمهما ينتق الإنسان جبالاً من حديد أم ماذا بعمد يصنعها، ولكنه ليس إلّا بوسائل معروفة علمية، لا فقط إرادة النتق مهما كانت هناك عمد إلهية أخرى، مما لا يُرى.

فمن الهُراء القولة الناكرة للمعجزات: إن بني إسرائيل كانوا في أصل الجبل فزعزع وزلزل حتى أطل رأسه عليهم فظنوا أنه واقع بهم،! فإنه تأويل عليل للنص: ﴿وَرَفَعْنَا﴾.. ﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ وتُرى إذ يراد الإفصاح عن رفع الجبل ونتقه، هل هناك نصٌ أو في من رفعه ونتقه؟..

أما لو أريدت الزلزلة والزعزعة كيف لا يعبر عنهما بنصه؟ رغم أنهما لا تنتقان الجبل وترفعانه فوقهم كأنه ظُلّة.

وترى ما هو موقع الترجي في ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾؟ والله لا يترجى، بل الذي لا يعلم عواقب الأمور هو الذي يترجى!.

الجواب: أن المقام هو مقام الرجاء وإن كان الله لا يترجى، وإنما المكلف بأمر الله له أن يترجى الاتقاء عن المحاظير إن حقق أمر الله، حيث الأخذ بما أوتوا بقوة مترجيّ، ثم الاتقاء بعد ذلك رجاء بعد رجاء، حيث العوائق قد تحول بين الأخذ والاتقاء، إلّا أن يشاء الله، فلا يملك العبد على أية حال إلّا الخوف والرجاء.

ولعلّ أخذ ما أوتوا بقوة هو أخذ التصميم بالإيمان كما وأن ذكر ما فيه وسمعه هو الإرادة القلبية عن بصيرة ويقين، وهذا كله تقوى باطنية، فـ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ تعني التقوى الظاهرية حيث تترجى على أثر التقوى الباطنية، ولكلّ وجه والجمع أوجه.

و﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ تشمل الغابرين حيث ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ وكذلك الحاضرين زمن الخطاب حيث كانوا تاركين التوراة كالغابرين، مهما

لم يكونوا قائلين قولتهم: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا﴾ أو قالوها، فإنما العبرة بالتطبيق المفقود هنا وهناك على سواء، فتراهم يمارسون تحريف التوراة لفظياً ومعنوياً وعملياً عائشين مثلث التحريف والتجديف، في وهدة التهريف وحِدَّة التزييف! حيث تعنيها كلها: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾.

ومن فضل الله عليهم أن لم يسحقهم بوقعة الجبل بعدما عصوا ﴿فَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَكُنتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ المُعَدمين بسحق آبائكم العاصين!.

﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾ فَجَعَلْنَٰهَا نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾:

.. هنا اعتداء في السبت عملياً تحت ستارٍ ماكر يخادعون الله فيه، إذ لم يسبتوا عن العمل والصيد يوم سبتهم متظاهرين أنهم سبتوا بما مكروا في خدعة شرعية! هازئة بحكم الله: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾[1]... ﴿فَلَمَّا عَتَوْا۟ عَن مَّا نُهُوا۟ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2].

فكوّنهم بما اعتدوا قردة خاسئين ﴿نَكَٰلًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ الحاضرين ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: المستقبلين، ممن سلكوا سبيلهم - حيث تنكلهم: تقيدهم عما يشتهون، وكذلك نكالاً للحياة الحاضرة الأولى والمستقبلة الأخرى، ﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ الذين يتقون طيب أنفسهم، أن تقيدهم وتنكلهم تقواهم عن طغواهم، فليست القردة الخاسئة لهم نكالاً، وإنما هي موعظة بها يتعظون.

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٦٣.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٦٦.

إن هذا التطور القاصد: تحويل الخاطئين إلى قردة خاسئين، يضم إلى زاويتيهما لجمعي الطاغين والمتقين، ثالثة هي اللعنة عليهم يوم الدنيا ويوم الدين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا﴾[١].

هذا الاعتداء السافر الماكر بعدما ﴿وَقُلۡنَا لَهُمۡ لَا تَعۡدُواْ فِي ٱلسَّبۡتِ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا﴾[٢] وإنما جعل عليهم بما اختلفوا في إبراهيم بلاءً وامتحاناً وحرماناً مؤقتاً: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ﴾ (إبراهيم)[٣].

والسبت لغوياً هو القطع كما ﴿وَجَعَلۡنَا نَوۡمَكُمۡ سُبَاتٗا﴾[٤]: قطعاً لحركات التعب ونهضات النصب، كذلك جعل السبت على الذين هادوا حكماً رابعاً من النواميس العشرة التوراتية (الخروج ٢٠: ٨) وهو حكم ثابت في الشريعة التوراتية حتى جاء الإسلام ونسخه إلى الجمعة، وكما ليس لنا تحويل الجمعة بفرضها وأحكامها إلى غيرها، كذلك السبت ثابت طوال الزمن التوراتي.

فمن الهراء قولة المسيحيين: (لنا تغيير السبت إلى يوم الأحد لأن المراد منه الانقطاع إلى عبادة الله في كل سبعة واحدة، سواء السبت أو الأحد أم ماذا) لذلك يسمي النصارى الأحد سبت المسيحية لأنه اليوم الذي قام فيه المسيح من دور الأموات بعد صلبه يوم الخميس، فدخل جحيم النار ليذوق العذاب بجسمه البشري ثم صعد إلى أبيه في السماوات[٥] وقد حادوا

(١) سورة النساء، الآية: ٤٧.
(٢) سورة النساء، الآية: ١٥٤.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٤.
(٤) سورة النبأ، الآية: ٩.
(٥) راجع كتابنا: عقائدنا عند البحث عن الصلب.

الله في تغيير السبت إلى الأحد، وأهانوا المسيح أن اتخذوا يوم جحيمه - على حدّ قولهم - يوم عيدهم، وهكذا فعلوا وافتعلوا بشريعة التوراة بما أضلهم سامريهم بولس الرسول!.

ثم القول: ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ﴾ ليس لفظة قول، وإنما هي إرادة فعل، فقوله تعالى فعله في مجالات التكوين، كما: ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] فعبارة القول إشارة إلى مدى نفاذ أمره دونما وقفة أو شريطة أمر آخر أو أمور أخرى، فـ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2]. وتعني ﴿خَٰسِئِينَ﴾ مهانين بعيدين، حيث القردة العاديين ليست خاسئة حيث خلقت قردة كسائر الحيوان المخلوقة حيواناً دونما بُعد عن رحمة الله وكرامته، وهؤلاء حوّلوا قردة بعدما خلقوا أناسي، فحوّلوا إلى ﴿خَٰسِئِينَ﴾ طريدين مهانين بعيدين عن رحمة الله.

وترى أنهم كوّنوا قردة - فقط - في أبدانهم أو أرواحهم، أم فيهما معاً؟ علّ اللائح من ﴿كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِئِينَ﴾ تحوّل الجزءين إلى قردة، ولم يقل: كونوا في أرواحكم، أو في أبدانكم! أو يقال: الأمر لا يوّجه إلّا إلى العاقل وليست الأبدان بالتي تعقل فتقبل الأمر أو لا تقبل؟ ولكنما الأمر هنا أمر التكوين فيعم مطلق التكوين عاقلاً وسواه وكما ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾[3].

ولعلّ ﴿خَٰسِئِينَ﴾ دون «خاسئة» تلمح إلى بقاء أرواحهم الإنسانية عاقلة، لمكان جمع العاقل، ولأن نكالهم لا يبقى لأنفسهم ما عاشوا لو حوّلت أرواحهم قردة، فإنها لا تشعر تحوّلها، ثم ولأن القردة المحولة بجزءيها عن

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٢) سورة يس، الآية: ٨٢.
(٣) سورة فصلت، الآية: ١١.

جزءَي الإنسان لا تبقى مكلفة تعذب هنا وفي الأخرى، كما لو جنّ عاقل عاص ومات مجنوناً، حيث المعيار في الحساب هو الحالة التي يموت فيها المحاسب، إن عاقلاً فإلى ثواب أو عقاب، وإن مجنوناً أو قرداً أم أي حيوان لا يعقل فلا حساب إلّا قدر ما يشعر.

فالروح الإنسانية التي عاشت جسمها فترة، ثم حول جسمها إلى قرد إنها تذوق أشد العذاب بما تعقل.

وأما أن تحوّل أرواحهم - فقط - قردة مع بقاء أبدانهم فلا نكال لهم - إذاً - ولا لما بين يديها ولا خلفها، حيث لا يرون نكالها.

هنا تحوُّل إلى قردة خاسئين نكالاً أو موعظة، فماذا تحوّل القردة أناسي - على حدّ مزعمة دارون - فإذ نقبل التحول الأول بدليل قاطع كما هنا، لسنا لنقبل التحول الآخر بمجرد التشابه دون دليل، وآيات خلق الإنسان من طين لازب - من صلصال من حمإ مسنون - وكالفخار، ليست لتقبل هكذا تأويل، والبحث آتٍ في طيات آياته.

﴿فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٦﴾﴾:

النكال هو الضعف والعجز والقيد والحجز، فالنكال العجز والحجز مجعول هنا لمثلث ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.

وترى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ أهم الأمم التي كانت تشاهدها من حاضرين لمشهدها ليكون نواحاً ذرين عن محتدها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ هم الأمم التي أتت بعدها وهوت هواها فطغت طغواها[1]؟ إذاً فلماذا «ما» وهي تلمح لغير ذوي العقول؟.

(١) في تفسير البرهان ١: ١٠٥ عن زرارة عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في الآية قال: لما معها ينظر إليها من أهل القرى، ولما خلفها قال: نحن ولنا فيها وعظة.

أو ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ هم القريبون الناظرون، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ هم البعيدون عن مشهدها أمكنة كمعاصريها، أو أزمنة كمستقبليها[١]؟ فكذلك الأمر؟.

أو أن ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ حياتها الحاضرة الدنيا ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ حياتها الآتية الأخرى، حيث النكال هنا ضعف وعجز، كما أنه هناك قيد وحجز؟ وهذا يناسب صيغة اللفظ «ما» وسياق المعنى، إذا النكال عنى ضعفاً وعجزاً، لا قيداً وحجزاً اللّهم إلّا للآخرين؟

أو أن «ما» تعني مثلث المعنى - فـ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ من الناظرين أو الحاضرين المعاصرين، ناظرين وسواهم، أو الحياة الدنيا للخاسئين وسواهم من أضرابهم، ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ من المعاصرين البعيدين غير الحاضرين ذلك المشهد، أو المستقبلين من مواطنين وسواهم، أو الحياة الأخرى؟ وهذا هو الأحرى حيث تتحمله الآية.

كما وأن ﴿نَكَالًا﴾ تعني القيد والحجز لـ«من بين يديها ومن خلفها» والضعف والعجز ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ من الحياتين للخاسئين.

وترى في المحتملة الأولى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا﴾ كيف اعتبرت الأمم التالية للقردة الخاسئين ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ رغم أن كل أمة تستقبل الحياة والأمم الأخرى فهي إذاً ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ لا ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾؟

علّه لأنه يجمعه والمحتملين الآخرين، وأن هذه الخاسئة خلّفت أمماً كأمثالها في طغواها: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾[٢] وقد كانت القردة الخاسئة مخلدة إلى حاضرها، ناظرة إلى غابرها، ناكرة لحياتها الأخرى، فهي إذاً لم تكن لتستقبل الحياة الأخرى، مهما كانت

(١) وفي الرقم (٢) الآتي عن الرضا عليه السلام وجعل عظة وعبرة للخلق...
(٢) سورة مريم، الآية: ٥٩.

الأخرى والأمم الأخرى تستقبلها، فالواقع أن مستقبل كل أمة - من أمة ومن الحياة الأخرى - هو بين يديها، ولتنظر إليه نظرة البصيرة النافذة، إلّا أن هذه الأوغاد المناكيد لم يكونوا يفكرون في مستقبل الأخرى، فأصبحت الأمم والحياة الأخرى ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ هي بنفسها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ في نظرة مركوسة مطموسة.

هذا هو نكال القردة الخاسئة في مثلث الأضلاع، حيث ينكل الخاسئة أنفسها ضعفاً وعجزاً في ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: دنياها ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾: عقباها، وتنكل كذلك أضرابها من الطغاة، من هم ﴿بَيْنَ يَدَيْهَا﴾: حاضرة ناظرة، أو معاصرة سامعة، ومن هم ﴿خَلْفَهَا﴾: الآتية العاتية، تنكلهم جميعاً قيداً وحجزاً، كما نكلت القردة ضعفاً وعجزاً.

﴿وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾.. كما كانت القردة الخاسئة: البعيدة المهانة نكالاً لأهل الطغوى، كذلك هي موعظة لأهل التقوى، من كانوا بين يديها أو أتوا ويأتون من خلفها، حيث يتخذونها عبرة وعظة.

وترى أن القردة الخاسئين هل ظلت مشهد النكال والموعظة لأهل الطغوى والتقوى بأنفسها أحياءٌ، إن عاشت زمناً بعيداً؟ أم هلكت بعد ثلاثة أيام كما يروى[1] أم ماذا؟

واقع النكال والموعظة للآخرين - وإنْ لزمن تعيشه سائر القردة - يحكم بالبقاء حيث الهلاك بعد ثلاثة وما إليها يحول دون نكالها ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ ككل المعاصرين، فضلاً عن ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾.

(١) نور الثقلين ٢: ٩٠٦ في من لا يحضره الفقيه وقد روي أن المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيام وأن هذه مثل لها فنهى الله عزوجل عن أكلها، وفي المجمع وردت الرواية عن ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن الله لم يمسخ شيئاً فجعل له نسلاً وعقباً.
وفي الدر المنثور ١: ٧٥ عن ابن عباس: ولم يعش مسخ قط فوق ثلاثة أيام ولم يأكل ولم يشرب ولم ينسل، وأخرج ابن المنذر عن الحسن قال: انقطع ذلك النسل.

إلا أن النكال هذا لا يختص بالآخرين، حيث يعني - وبأحرى - أنفس القردة الخاسئين في الأولى ﴿لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا﴾ والأخرى ﴿وَمَا خَلْفَهَا﴾ وإن لثلاثة أيام هنا.

ثم النكال للآخرين لا يختص بحاضر المشهد وشاهده، فشاهده يتنكّل أو يتقي وغائبه يقبل من شاهده حيث الخبر المتواتر يُقبل، وليس النكال القيدُ والحجُزُ إلّا لواقع الواقعة وكما في الواقعة ولمّا تأت، دون خصوص الشهود، وهكذا يكون دور النكال والموعظة لكل واقعة هي عبرة وتذكرة، لكلّ من يسمعها ويصدقها.

فلقد حقّ عليهم النكول عن أمر الله فتحول نكالاً، ولو أنهم لم يكونوا قردة في نفسياتهم لم ينكصوا هكذا عن أمر الله، ولكنهم نكصوا فانتكسوا قردة خاسئين حيث انطباعات الشعور - عن تقصير لا عن قصور - تعكس على الوجوه، لزاماً في الأخرى، وأحياناً في الأولى.

وهل أن سائر القردة هي من نسل هذه الخاسئة؟ قد تروى: نعم[١] ولكنه، لا وكما[٢] تروى وأن المقطوع تكوُّن سائر القردة قبل الخاسئة بدهر طويل.

---

(١) هنا أحاديث يفسرها الحديث الأول إلى غير اللائح منها، ففي نور الثقلين ١: ٧٣ في عيون الأخبار عن محمد بن سنان عن الرضا عليه السلام حديث طويل وفيه: كذلك حرّم القردة لأنه مسخ مثل الخنزير وجعل عظة وعبرة للخلق دليلاً على ما مسخ على خلقه وصورته وجعل فيه شبه من الإنسان ليدل على أنه من الخلق المغضوب عليه.
وفيه عن جعفر عن أبيه عن جدِّه علي بن أبي طالب عليهم السلام قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن المسوخ فقال: هم ثلاثة عشر: الفيل - إلى أن قال: وأما القردة فقوم اعتدوا في السبت.

(٢) مضت روايته في الرقم (١) هنا.